

(24) - ويلاه إن هي نظرت وإن هي أعرضت وقع السُّهام ونزعهنَّ أليمُ

قبل البحث في التشبيه يحسن تناول الجملة التي اشتملت عليه تناولاً تركيبياً، فهي تقوم على الشرط في ظاهرها إذ ربط الشاعر بين حدثين باعتماد الشرط: فالنظرة والإعراض منبّهان يثيران الإحساس بما يحدث عند رشق السهام ونزعها. والجامع بين الطرفين هو الشبه في الألم الناتج عنهما من حيث الحدة والشدة. ولكن كيف يتولّد التشبيه في مثل هذا التركيب؟

رأينا أن فهم الكلام يقوم على التناظر بين الباث والمتقبل. يعني أن التفاهم لا يحصل إلا إذا ما توفرت عند السامع جميع العناصر التي يملكها المتكلم والتي تتصل بموضوع كلامه. وإذا ما فهم كل واحد منا المثال (24) على أنه تشبيه رغم غياب ما يدل عليه صراحة، يمكن القول إن الشاعر قد أخلّ بأساس من أسس التواصل فلم يوفر لسامعه جميع ما يحتاجه. وهو إخلال لا يعطلّ الفهم يعني أن الشاعر - وهو ينشئ العبارة - سكت عن جزء من الصورة وأن السامع كملّ الناقص. فالفهم كامل والعبارة ناقصة، وهذا يعود إلى طبيعة النشاط اللغوي.

فالكلام ذو مستويين:

- مستوى المعنى أو المفهوم الذهني المجرد الكامن في الذهن قبل التلفظ، هو شكل تام لا نقص فيه. هو البنية العميقة. وهي في (24): نظرتها وإعراضها يشبهان رشق السهام ونزعها.
- مستوى العبارة الظاهرة للحس (سماً أو بصراً) حيث تتخذ الشكل الصوتي أو غيره وهو البنية السطحية. وقد يوافق هذا الشكل المنجز ذلك المعنى العميق فيساويه، وقد يفارقه فيكون دونه.

فمثلاً يسألك شخص: - «من خرج؟» فتجيبه: «محمد». جملة الجواب كما هو ظاهر ناقصة. ورغم ذلك هي مفهومة لأن نقصها في اللفظ دون المعنى، والسياق يوفر اللفظ الناقص وهو هنا «خرج»، فالبنية السطحية في جملة الجواب تخالف البنية العميقة فيها، ولو اكتفينا بما هو ظاهر فيها مذكور لما فهمناها. وعلى هذا قس التشبيه الضمني:

المتكلم	اللفظ	السامع
[نظرة المرأة وإعراضها تشبهان رشق السهام ونزعها في الوقع]	«إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهنَّ أليم» ∅ أداة تشبيه ∅ وجه شبه	[نظرة المرأة وإعراضها تشبهان رشق السهام ونزعها في الوقع].